

«درسة ديوان (الجيل الجديد)

على الرغم مما قدمه شعراء الإحياء من جديد في مجال القصيدة الحديثة إلا أنهم ظلوا مشدودين إلى جذور القصيدة القديمة في موضوعاتها وأساليبها ومعانيها وصورها. وذلك لأن مفهوم الشعر ووظيفته بقيا على المفهوم القديم وكان لابد من سهولة أدبية جديدة تعيد الشعر إلى مكانته.

فقد وجد جيل جديد وعنى الشعر ومفهومه ووظيفته على نحو ما شاع لدى شعراء إتيار الرومانتيكي في أوروبا وفي انكلترا على وجه الخصوص. وفي مقدمة هؤلاء ثلاثة شعراء هم:

عباس محمود العقاد وعبد الرحمن شكري وإبراهيم عبد القادر المازني.

فقد مثل هؤلاء الشعراء منعطفاً جديداً في الشعر العربي، فظهرت بوادر منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ويبدو أن لهذا التغيير أسباباً شتى، ومنها تدفق الصحف الأدبية التي حوت الجديد في شتى مناهي الحياة والأدب تحديداً، فضلاً عن دور حركة الترجمة التي نهضت على يد رفاة الطهاوي، والتي ترجم فيها الكثير من كتب النقد الغربية ومنها على سبيل التمثيل: كتاب: (الدود عن الشعر) لسيلي وهارلت، وقواعد نقد الأدبي لابركبي، وفنون الأدب لتشارلتن، ومنهج البحث في اللغة والأدب لانسونومايهو، وعن الشعر لهوراس وغيرها الكثير. كما ترجم الشعر لأقطاب إتيار الرومانتيكي وبرزى من أمثال: فكتور هوغو ولامرتين وافردي موسىه وألفرد دي فين وفرلين وبول فاليري وبودير.

وقد اهتمت الصحف والمجلات العربية بترجمة الآثار الشعرية على صفحاتها وفي مقدمتها: المقتطف والسياسة والثقافة ورسالة.

وكان للبعثات أثرها إفاعل في تغير وجهة الأدب، وكيفي أن نشر
إلى أن عبد الرحمن شكري كان أحد المبتعثين إلى بريطانيا، وكان معه
رأس جماعة أبولو (أحمد زكي أبو شادي) وإبراهيم ناجي الذين تنودوا
من لتقافة الانجليزية من يبايعها .

ومن جهة أخرى فقد كان للمذاهب الأدبية الأوربية التي بدأت تغزو
الوطن العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر تأثير شديد في شعراء هذا
الجيل . وذلك لتقبل لهذا الوافد كان يتبع وينسجم مع طبيعتهم لتقافة
لكل جديد، وينسجم مع نفوسهم، مكتوية بنار لواقع المرير سياسياً
واجتماعياً وفكرياً .

وقد استقرت في أذهانهم أن هذا المذهب الجديد قد جاء تعبيراً
عن مفاهيم المعاصرة للطبقات المتطلعة إلى الحياة الجديدة . وهي طبقة
الوطنية .

ومن المعروف أن هذا المذهب يعنى بمشاعر الإنسان ويعطى إلى
تحقيق المبادئ الإنسانية بعيداً عن عناصر الزخرفة والصنعة . إذ أمنت
الرومانتيكية في الخيال ونشدت البساطة في التعبير وولكت لهرق لفطرة
والطبع الصادق، وناوت باستياء الأديب لناعه وعواطفه وأحاسيسه
وابتعدت عن التكلف وتجنبت التفسيرات القديمة . والأديب عندهم
يطلب متعة الروح لا الجسد، وذلك يتأتى من إحلال العاطفة
مكانة الأثرة في شعرهم .

وقد عشقوا لطبيعة ولجأوا إلى الغاب، وهربواً من المدينة
وسعيلاً إلى الترويح مما في نفوسهم من المأسى والآلام، وشوها

ما سحر به من سقاء . ومن هنا فقد حلقوا في أجواء خيالية
 عالمين (بيوتوبيا) أشبه بجمهورية أفلاطون .
 وقد كانت ظروف هؤلاء الشعراء وظروف أمتهم مهياة لاستقبال
 هذا المذهب . ولذلك راحوا يقرأون شعر شيبي وورد زورث وبارون
 ولا مارتين ، ولغرد دي فيني ، مما يعبر عن تطلعم نحو الجديد .
 وانذفعوا إلى شعر الرمزيين يعتمدون الإيحاء ويتبعونه عن ^{لباشرة}
 ولذلك فقد عنوا بالعصر الموسيقي الذي يعتمد الإيحاء بعيداً عن جملغة
 العبارات التي كانت عند شوقي وشعرار جيله .
 ولقد طبع شعرهم بطابع هزين ، يسعى إلى تجسيد الألم والتغني
 به إلى حد ليل الموت ، بفعل التأثير بالشعر الغربي وبفعل ظروفهم التي
 عاشوها ، مما حجب إليهم الألم والحزن . إذ كان الاستعمار يطبق على
 وطنهم وينهب خيراتهم ويكبل هرياتهم ، مما يتطلب الثورة والنهوض في وجه
 المستعمر ومن يبر في ركابه .
 وعندما قامت الثورات فإنها بدأت بالفشل لأنه لموازين غير
 متكافئة ما والوعي السياسي والوطني كان في بداياته . مما أفضى إلى
 أن تعود نظره سوداويأس انطبع في نفوس الشعراء .
 وما كان يورقهم أنه أبناء لطبقة الخاصة ممن لم يكونوا
 يمتلكونه مواهبهم وقدراتهم كانوا مرفهين ومتفهمين . ولذلك فقد
 أكثروا من الشكوى في أشعارهم . وضاقت ذراعاً بالحياة ولجئتم إلى
 الأهلآم . فكانت الشكوى مرة وكان التمرد مرة أخرى . لينتهي إلى
 الحزن وطلب الموت عند هذه الجماعة .

وقد أشار ناقد الجماعة الأول العقاد إلى تأثرهم بالشعر والنقاد
 الأوربيين ، مؤكداً أن تأثرهم لا يعني إتيانهم بقدر ما يعني الإهداء
 وهذا ما يظهر جلياً من إفاذتهم من كتاب (النتز الذهبي) الذي ترجمه
 المازني وهو مجموعة مختارة من شعر الغنائي الانكليزي الذي يوصف
 وهذه العوامل مجتمعة قد دفعت بهم إلى المناداة بالدعوة إلى
 تجديد الشعر .

دواعي الإنشأة :

التقى العقاد بالمازني ، الذي تخرج من مدرسة المعلمين لعليانة ١٩٠٩
 والتقى بشكري الذي عاد من انكلترا ، فاجتمع الثلاثة ليكونوا هذه
 الشراكة الأدبية . فخرج شكري ديوانه الأول (ضوء فجر) ١٩٠٩
 ثم يصدر الجزء الثاني منه سنة ١٩١٣ ، وتقدم العقاد له بمقدمة نقدية رائعة
 مما يحل (التنظير النقدي) لهذه الجماعة وتتوالى أجزاء ديوانه لتبلغ سبعة أجزاء
 آخرها (أزهار الخريف) ١٩١٩ .
 ويخرج العقاد ديوانه الأول سنة ١٩١٦ ويسميه (نقطة الصباح) ثم
 ويخرج العقاد ديوانه (وهج نظيرة) ١٩١٧ ، والثالث ١٩٢١ (أشباح الأصيل) .
 يصدر الثاني (وهج نظيرة) ١٩١٧ ، وآخر دواوينه (ديوان من إدواوين)
 ثم (وهي الأربعين) ثم (عابر سبل) وآخر دواوينه (ديوان من إدواوين)
 ١٩٥٨ ، إذ بلغت عشرة دواوين .
 ويتبعها المازني فيخرج ديوانين الأول سنة ١٩١٣ ، والثاني ١٩١٧
 ويشترك مع العقاد في إصدار كتاب (ديوان في الأدب والنقد) سنة ١٩٢١
 يتبادل آراءً نقديةً هريئة .
 والمهم في هذه الجماعة أن أعضائها قد اتفقوا على تخليص شعر

من وهاد لتبعية والنهوض به إلى ما يسمو بالعواطف الإنسانية في صدق وإخلاص وواقعية.

وقد أوضع ناقدهم الأول العقاد أهدافهم ولا سيما في نقده لزعيم التيار اللاسيكي أحمد شوقي متهاً إياه بعدة اتهامات منها :
تفلك القصيدة ، والإحالة ، واللوع بالأعراض دون الجوهر من الأمور ، وعدم التعبير عن حياة المعاصرة ، وهو أسير لما مضى .
فما أحدث هزة عنيفة في مجال الشعر ولنقد ، إذ إن هذه الجماعة لم تناد بتجديد شكل القصيدة فحسب وإنما تجاوزته إلى المحتوى الفكري ، وفي التعبير عن نفس الإنسانية في صدق وإخلاص . ولذلك نادوا بهجر الموضوعات القديمة ، ومعانيها المستمدة من بيئاتها الخاصة ، كما نادوا بالبعد عن الأفضلية ولصور القديعة ، من غير أن يعني ذلك إلغاء المضامين القديمة تماماً ولكنه يتفق وروح العصر وتفكيره وصور صباه .
وقد نادوا بتغيير الصور والأساليب ، وكان من نتائج دعوتهم لقصة المسرحية

والمقالة .

ويعاقح أن التيار اللاسيكي سابق كان قد ارتبط بالطبقة العالية في المجتمع وراح شعراؤه يقيدون شعرهم بالكثير مما يتعلق بحياة تلك الطبقة بعيداً عن وجداناتهم الفردية ومشاعرهم الذاتية ، ولكنهم وبعد أن تأثروا بالأدباء العلميين تغيرت وجهاتهم ولا سيما بعد أن قرأوا لبيروت وحسين وورد زورق وغيرهم من شعراء الإنكليز ولم يكتبوا بذلك فقد قرأوا للأدباء الفرنسيين والألمان والإيطاليين والأجانب والروس واليونان واللاتين القدماء ، لتتلون قصائدهم بألوان من الفلسفة والتاريخ وطقس ، مما عمق أفكارهم ورؤاهم .

ويُفهم أنه نلقي نظرة على عنوانات دواوينهم نجد (أزهار الخريف، وضوء الفجر، و دعاء الكروان، ولقطة الصباح... وعنوانات قصائدهم مثل: موارد الحب، الموت، شقوة العيش، فواطر الأرق، كوارس الشباب، مرصفاً بالأقدار وغيرها لتخرج بنسبة أنه للأولاد شعرار فهم خاص وتصدر خاص للشعر، يكونه (يعبر عن نفسه بمعناها الإنساني العام، وليس معناها الخاص، وما تضطرب به من غير وشر وألم ولذة. ومن جهة ثانية، يريد أن يكون الشعر تعبيراً عن الطبيعة ومفاتيحها وأسرارها المبتوءة فيها. فليس الشعر أريجيات وطنية ولا قومية فقط ولا هو تسجيل لحوادث الأمة وما يجري فيها على أرقام السنين، وإنما هو قبل كل شيء تصور للعواطف الإنسانية ترددهم بها لنفس الشاعر، وتندفع على لسان الشاعر لحناً ظالماً، يصور صلته بالعالم واللون من موله). وهذه المضامين هي نفسها التي نادى بها شعرار الرومانتيك الأوربيون. فضلاً عن حدود هذه المضامين فقد تجاوزها إلى الكمال ليبددوا في الأوزان والقوافي واستخدموا الشعر المزدوج وغيرها.

ملاحح التحديد في الشعر

يحدد الشعر في نظرهم تعبيراً عن النفس وتصوير العواطف في صدق وإفلاص وواقعية. فهو إذاً تجسيد للعواطف الإنسانية وتصوير للشاعر البشرية وما تضطرب به من غير وشر وألم ولذة وحب وكره، كما يكون أيضاً تعبيراً عن الطبيعة وأسرارها العميقة ومفاتيحها المعروفة.

كما يعني أنه الشعر عندهم ذاتي عميق لذاتية، بعيد عن الأريجيات الوطنية. بل هو حديث نفس إنسانية تجسد كل ما

يدأظها من وساوس وهموم وتطلعات وآمال وطموحات. كما تتبرهن
 ما يتصل بالحياة وكنهها والكون والغازة الخفية. وهذه المضامين بعيدة
 تماماً عن مضامين شعراء الأحياء. وذلك يتفجع في قصيدة العقاد
 (حظ شعراء) التي يصور فيها حالته وماله أمثاله الذين ضاقت
 بهم الحياة فأضفى لغذاب نفوسهم، وبعثوا عن الدنيا وبها، فهم
 ضائعون تائبون لا يملكون إلا ما يزدودون به عن أنفسهم؛

ملوك فأما عالمهم فعبيد
 أقاموا على متن لسحاب فأرضهم
 بني الأرض كم من شاعر في دياركم
 بني الأرض لا تنضوا له لسيف إنه
 مقبم على عرش الطبيعة ماض
 وأقصى مناه في الحياة نهاره
 إذا عاش في بآلئه فهو ميت
 ولقصيدته تتلوه بهذه الصور التي تتطلع فيها لعقاد أبي حياة لمجد
 والخلود، ولكنه لا يجني منه حياته غير لبؤس ولشقاء ولا مأس بالعبس.

وهذا الأمر نفسه نجد عند المازني في أزمتة لنتبية الحادة. وذلك
 يتضح في رسالته لنفسه، مجسداً شعوره بالأسى والضياع والتشرد يقول:

تضى غير مأسوف عليه من لوري
 فعاش وما واساه في لعيش واحد
 ولم يبكه إذ مات إلا أميرة
 فلا دمع يروي يوم ولي تراه
 فتى غرم في لعيش نظم لقصيد
 ومات ولم يحفل به غير واحد
 لها زفرة لولا اللهم لم تصاعد
 وكيف يروي ثربه غير واحد

أما عبد الرحمن شكري فكان أكثر إحساساً بالضياع والتمزق ، وقد انتهى
به هذا الإحساس إلى يقينه بالمصير المحتوم ، وهو الموت . يقول مخاطباً المجهول :-

يحوظني منك بحرٌ لست أعرفه وعهمةٌ لست أدري ما أقاصيه
أخالُ أني غريبٌ وهو لي سكن خاب الغريب الذي يربو مقاصيه
وأكبر لظن أني هالكٌ أبداً شوقاً إليك وقلبي فيه ما فيه

وفي هذه القصيدة تأمل فلسفي ملحوظ ، وهو اتجاه عام عند هؤلاء
الشعراء ، وبخاصة عند العقاد في قصيدته (ترجمة إسطنبول) التي
ينزع فيها العقاد نزعة تأملية ، وفيها نزعة متهددة تشك في كل شيء
ناهيك عن قصيدة شكري (حلم بالبعث) التي تمثل النزعة المتهددة الشك
ويقال الممازني رحيليه هذا التمرد ، ولكنه تمرد يختلف فيه شكوي اليأس

ولوعة التمرد :
سأقضي حياتي نائر لنفس هاجئاً ومن أين لي عن ذاك معدى ونه
على قدر إحساس برجال سقاؤهم وللسعد هو بالبلادة مشرب

ويقابل هذا التمرد شعور وما نسي عزيز يتخذ منه الألم لنا حزناً ، ينتهي بالموت
عندهم جميعاً . وقد عبر العقاد عن هذا الحزن والألم بقوله :

شعري دموعي وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها هفن حزون
يا سود ما أبقت الدنيا لمغيب على المدامع أهبان المساكين

وتتمزج العاطفة الحزينة لدى العقاد بالفكرة الفلسفية ، بحيث يكون الموت
لديه راحة تقترن بالفناء ، يقول :

إذا شيعوني يوم تقضى هيتي وقالوا أراح الله ذاك المعذب

فلا تحملوني صامتين إلى الأثرى
وغنوا فإن الموت كأس شهية
ولا تذكروني بالبكاء ، وإنما

فإنني أضف لحد أنه يتهيبا
وما زال يحلوا أنه يغني ويشربا
أعيدوا على سمعي لتقصيد فأهريا

وشرهم لم يقتصر على هذا لتيار لذاتي برومانسي الحزين فحسب وإنما
يتوزع على اتجاهات أخرى مثل : الاتجاه التأملية وفلسفي الذي يغور في الأعماق
جثاً عن الحياة والموت وسعياً إلى الكشاف المجهول وأسرار الطبيعة
وبواطنها . وقصة العقاد (أبيه الحقيقة) تعكس الاتجاه فلسفي لتأملية :-

أين الحقيقة لا حقيقة (٢) كل ما زعموا كلام

الناس فمرفق في الهوى لم ينج غرّاً أو إمام

إن الحقيقة عادة كالغيد يضمرها اللثام

كل يهيم بها فإن لاهت لهم صدوا وهاموا

وتقف قصة (ترجمة حيطان) في قمة هذا الاتجاه الذي يمثل ثورة

العقاد على كل شيء :-

قط بالخبر وقد ينمو الهوى

إنما الصدق نبات ما نما

وأصدق الحق ما يوعي الرميم

إنما الصدق وبال يفترى

أبدأ سئين مرهما اقتربا

وسيبقى اللون في جوهره

ومخالق رأوه اصحبيا

خالق قام على عنصره

فالعقاد هنا يزرع نزعاً تأملية وفلسفية شاقة ، يثور فيها على
الدين كلهما ، وهي تعكس ما ينتلب نفسه من تساؤل عن الخلق والكون
والحياة والطبيعة ، وهذا التأمل والتمرد نبذه أيضاً عند شكري . بل أنها

تبرز عند شكرك أكثر مما عند إلقاء العقاد والملازمي ، لأنها تنسجم مع
طبعه الخاص وتلتقي بوضعه النفسي المعقد . لنستمع إليه يخاطب
المجهول بقوله :

يخونني منك بحر لست أعرفه
أقضي حياتي بنفس لست أعرفها
يا ليت لي نظرة للغيب تعدي
أخال أنني غريبٌ وهو ليس كذلك
والروح كاللون تبدو أسافلها
عند اللبس ولا تبدو أعاليه

وسعى هؤلاء الشعراء إلى تأكيد الاتجاه العاطفي ، إذ يرتفع صبرهم إلى
أسر غايات العشق وينأى عن كل ما يلوته من متاع الجسد والشهوة .
وتحمل قصيدة (الحب والمجد) للعقاد هذا الاتجاه العاطفي الذي يرتفع
فيه الشاعر عن كل زخارف الدنيا ، يقول :

هو الحب الذي يعمر
هذا القلب لا المجد

فعلنا الرثم مما يعرف عن إلقاء من هيروت وغلظة إلا أنه في قصائد
الحب أليف ووديع ، يخضع لنذار حسبيته في رقعة نادرة ، تنم عن
إحساس يفيض بالحب الصادق والشعور الرقيق . وقد اتسعت
عاطفته الصادقة حتى وجدناه يرمي عليه (بيجو) وكما يتحمل ذلك أيضاً
في قصائده (غيرة طفلة) و (رثاء طفلة) و (عيش العصفور) .

وسيجع عندهم الوصف شعوراً مفرداً بحيث يقف وصف الطبيعة في مقدمة
أوصافهم ، وفيه خلوص على الطبيعة الآلام وأثرانهم وأصلاهم أيضاً وربما
مزموها بتوليداتهم العقلية . ففي قصيدة (إلى الريح) يقول عبد الرحمن شكري :

يا ربيع يا صفو نفس طالما شقيت
أشكو إليك هموم أعين قاطبة
لا تأليني عن الحادي وحكمته

قد خان نفسي أهباي وأنصاري
شكوى لضعيف لبادي لبش مغوار
ولا تنومين من صولات أقدار

وهذا فعل في قصيدة (الليل) التي خلع عليها شكري ما يشرب به من وحدة
وقسوة وظلم ويأس . وهذا إشان يتردد في شعر العقاد ولا سيما في
قصيدته (على النيل) ، وكما في وقوفه على صور الطبيعة من الليل والصحراء
والبحر والقمر وصور فصول السنة ومن بريشته لرقيقة عالم الزهور
وتأمل عالم الطيور ... الخ . وقد تمثل ذلك كله في ديوان (هدية لكروان)
وبصفة خاصة في قصيدته التي يتوصف فيها فكرته من قصيدة الشاعر الإنكليزي

(كيلي) (إلى قبرة) ، يقول :
هل يسمعون صوتي لكروان
صوتاً يرفرف الهزيع الثاني .

ولا نعدم الاتجاه الواقعي يتردد في شعر هذه الجماعة ، وأعلمه
يتجلى في ديوانه (عابر سبيل) للعقاد . الذي استطاع فيه أن
يخفف من سيطرة الرومانسية الكالحة التي طبع بها تيار الجماعة .
وهذا ما يجب للعقاد الذي تفوق على صاحبيه في هذا الاتجاه . إذ اتخذ
من المضمراح اليومية ميداناً لتجربته الشعرية . مما يؤكد قدرته على
رصد الأصوات ، كما تؤكد دقة ملاحظاته لحركة المجتمع .